

الحج بين السلوك والنسك وفضائل العشر الأول من ذي الحجة

٢٧ من ذي القعدة ١٤٣٦ هـ الموافق ١١ من سبتمبر ٢٠١٥ م

أولاً : العناصر :-

١. فضل الحج ومكانته في الإسلام .
٢. الحج دعوة إبراهيم وشريعة محمد عليها السلام.
٣. العبادات كلها تهذب السلوك وتقومه.
٤. الحج أنموذج للتربية والسلوك .
٥. آثار الحج السلوكية على الفرد والمجتمع .
٦. فضائل العشر الأول من ذي الحجة .

ثانياً : الأدلة :

الأدلة من القرآن :-

١. قال تعالى : { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } [البقرة: ١٩٧] .
٢. وقال تعالى : { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ } [الحج: ٢٧، ٢٨] .
٣. وقال تعالى : { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١] .
٤. وقال تعالى : { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات: ١٠٢] .
٥. وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣] .
٦. وقال تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: ٤] .

الأدلة من السنة :-

١. عن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (رواه البخاري). مسند أحمد
٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبْنَا وَقَالَ مَرَّةً: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ " ثُمَّ قَالَ: «ذُرُونِي مَا تَرَكْتُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَدَعُوهُ» (رواه مسلم).
٣. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » (رواه مسلم).
٤. وَعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ يَحْسُنَ خُلُقَهُ ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » (رواه أحمد في مسنده).
٥. وَعَنْ جَابِرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْتَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْتَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ : « الْمُتَكَبِّرُونَ » . (رواه الترمذي).
٦. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " (رواه البيهقي) ، وفي رواية لأحمد " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ " .
٧. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ . (رواه البخاري).
٨. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » (رواه البخاري).
٩. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ». يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ . قَالُوا يَا رَسُولَ

اللَّهِ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ : « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » . (رواه الترمذي) .

ثالثاً : الموضوع :-

إن الحج موسم من مواسم الطاعة ، وركن من أركان الإسلام ، وركيزة من ركائزه ، ففي الحديثَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » رواه مسلم ، فرضه الله تعالى على من استطاعه من عباده ، فقال : {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧] ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ ، فَحُجُّوا » (رواه مسلم) .

ففريضة الحج ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع ، من أنكرها فقد كفر ، ومن أقرَّ بها وتركها تهاوناً فهو على خطر ، إذ كيف تطيب نفس المؤمن أن يترك الحج مع قدرته عليه بماله وبدنه ، وهو يعلم أنه من فرائض الإسلام وأركانه .

والحج له فضل كبير وثواب جزيل بيَّنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سُئِلَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ : «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ » (رواه البخاري) . ورغم أن الحج مرة واحدة في العمر كله ، إلا أن تأثيره يمتد بقية عمر الإنسان إن أحسن حجه وأخلصه .

وقد أمر الله عز وجل نبيه إبراهيم عليه السلام أن ينادي بالحج ، فقال تعالى (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (الحج: ٢٧) .

والمأمل في العبادات يجد أن الغاية المنشودة والثمرة المرجوة منها هي تزكية النفوس البشرية وتقوية صلة الإنسان بربه وخالقه ، وبمن يعيشون معه في مجتمعه ، لتؤتي أكلها إذا صدقت النية ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : {أَنْتَ لِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت : ٥٤] . وبالزكاة تتألف القلوب وتنظف النفوس والأموال ، قال تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة ١٠٣] .

وبالصوم يتدرب المسلم على الصبر ، وبالحج ومناسكه تغرس الفضائل في قلوب المسلمين وتدعوهم إلى محاسن الأخلاق وإلى وحدة الصف ، وإلى التعارف والتعاون والتراحم والتكافل ورحمة القوي بالضعيف والإيثار ولين الجانب ، فالعبادات والطاعات شرعت للارتقاء بالخلق الإنساني وتقويم السلوك البشري ، فكل عبادة تأخذ بيد صاحبها إلى الطريق المستقيم ، ومن ذلك فريضة الحج ، والتي تسهم بدورها في تصحيح مسار السلوك الإنساني .

فقد يظن بعض الناس أن مجرد السفر إلى الأراضي المقدسة لأداء النسك رحلة مجردة عن المعاني الخلقية ، وهذا ظن خاطئ ، فالعبادات تحمل في طياتها كل المعاني الخلقية والإنسانية ، ولها ثمرتها التي تؤثر في أخلاق صاحبها وسلوكياته ، وفي فريضة الحج يقول ربنا سبحانه: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } [البقرة: 197]. وفي هذا إشارة إلى علاقة الأخلاق والسلوك بالحج ، فلا يتصور أبداً أن يكتمل حج إنسان دون أن يتخلق بأخلاقياته ، فالحج ليس كلمة ، وإنما هو سلوك ومسئولية وخلق.

فالآية الكريمة جاءت حاملة معها النهي عن هذه السلوكيات تحديداً ، لأن الحج شرع ليظهر الروح والنفس من كل أشكال الرفث والفسوق ، وإن المسلم إذا تحققت فيه آثار العبادات وتحلى بالآداب الشرعية ، وأصبحت أخلاقه انعكاساً لما يعلمه ويعمل به من دين الله - عز وجل - كان من أهل الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

فمن بداية رحلة الحج يعلن الحاج عن حسن توكله على الله وتفويض كل أموره إليه ، ويردد : اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا ، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْتَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَمِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْنِ ، وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ

إن الحج يربي في نفس صاحبه أخلاقاً عظيمة ، وآداباً رفيعة ، وقيماً عالية ، والتي يجب أن يتحلى بها الحاج وتنعكس على تصرفاته وسلوكه كله ، بعد أن حل ضيفا على أكرم الأكرمين ، مبتغيا الأجر والثواب ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) (متفق عليه) ، وعن أبي هريرة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَقَارَةِ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » (رواه مسلم).

وبناء على فضل الحج وثوابه العظيم ، كان الانضباط الخلقي أشد لزوماً ، يتطلب من الحاج أن يسمو بعقله وقلبه وسلوكه إلى مقام رفيع من الاستقامة والتقدير والتعظيم لشعائر الله تعالى : { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } (الحج ٣٢) .

وحسبنا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد بين الغاية من بعثته بقوله : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، فقد ملك قلوب الناس في دعوته بسلوكة القويم ، وتعامله الحسن ، وخلقته العظيم الذي امتدحه الله سبحانه وتعالى به في قوله : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: ٤] ، وما أجمل قول الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وللحج آثاره البالغة التي تظهر على سلوك الفرد في السمو الأخلاقي، ويتعدى هذا الأثر من الفرد إلى المجتمع كله من خلال وحدته ، وتصرفاته ، ومن تلك الآثار :

وحدة الصف : فالحج فرصة لتوحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم تحت راية واحدة ، شعارهم التلبية - لبيك اللهم لبيك - ، والوقوف في وجه الإرهاب ، والتصدي لكل دعوات التخريب تحقياً لأمر الله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } .

كذلك من آثار الحج : تبادل المنافع والتجارب والخبرات في المجال الاقتصادي ، فلا شك أن هذا التجمع للمسلمين من كل بقاع الأرض فرصة لبحث الأمور الاقتصادية والاجتماعية وغيرها لدى بعض البلاد ل يتم تحقيق التكامل بين جميع أفراد الأمة .

ومن ذلك أيضاً : البذل والإنفاق للمحتاجين والفقراء والمساكين ، فلا يبخل بمال أو جهد رغبة في الثواب والأجر ، ومن أشهر من عرف عنه ذلك الإمام عبد الله بن المبارك - رحمه الله تعالى - الذي كان إذا أراد الحج من بلده (مرو) جمع أصحابه وقال : من يريد منكم الحج ؟ فيأخذ نفقاتهم ، فيضعها عنده في صندوق ويقفل عليه ، ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة ، ويطعمهم أطيب الطعام ، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف ، ثم يرجع إلى بلده ، فإذا وصلوا صنع لهم طعاما ، ثم جمعهم عليه ، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم ، فرد إلى كل واحد منهم نفقته .

ومن ثم فإن الحاج لا بد وأن يتأثر بخلق الحج ويبقى أثره في نفسه ، ويعود من الحج وقد تحسن حاله واستقام أمره وأقبل على طاعة ربه ، حتى يتقبل الله حجه ، فالله لا يقبل العمل إلا من المتقين ، كما قال سبحانه : { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة: ٢٧] .

ولنعلم أن أعظم الزمن بركة ، عشر ذي الحجة ؛ إذ لها مكانة عظيمة عند الله تعالى ، تدل على محبته وتعظيمه لها، فهي عشر مباركات ، وهي أفضل أيام العام كله ، حيث يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام في أطهر بقعة من الأرض ، حول الكعبة المشرفة يطوفون ، وإلى الطاعات يتسابقون ، وفي الخيرات يتنافسون ، وبخير زادٍ يتزودون ، عملاً بقول الله تعالى: { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } [البقرة: ١٩٧].
ومن فضائلها:

* أن الله تعالى أقسم بها فقال: {وَالْفَجْرِ * وَبِالْأَيَّامِ الْعَشْرِ}. ولا يقسم تعالى إلا بعظيم، وأن الله تعالى قرنها بأفضل الأوقات ، فقد قرنها بالفجر وبالشفع والوتر وبالليل ، وقد حظيت بهذه المكانة وتلك المنزلة ؛ لاجتماع أمهات العبادات فيها ، وهي الصلاة ، والصيام ، والصدقة ، ووقوع غالب مناسك الحج فيها، ولا يتأتى ذلك في غيرها ؛ لحديث ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: ((ما من عملٍ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ - عز وجل - ولا أعظم أجرًا من خَيْرٍ يعمله في عَشْرِ الْأَضْحَى))، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((ولا الجهاد في سبيل الله - عز وجل - إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فلم يَرْجِعْ من ذلك بشيءٍ)) (رواه الدارمي).

* أن الله - تعالى - نصَّ في كتابه العزيز على ذكره فيها ؛ تعظيمًا لله - تعالى - وإعلامًا بفضيلة هذه العشر، وإظهارًا لشعائرها ، حيث سماها الأيام المعلومات ، فقال تعالى: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج: ٢٧]. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - هي أيام العشر . فالأيام المعلومات هي العشر في قول أكثر أهل العلم.

* ومن فضائلها: أنها أفضل أيام الدنيا على الإطلاق ، ، وهي أحب الأيام إلى الله تعالى ، والعمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى ، فعن ابن عباسٍ (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ». يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ ». ومن هذا الحديث يتضح أن هذه الأيام أفضل أيام السنة كلها ، وأن العمل الصالح فيها - أيًا كان نوعه - أفضل منه في غيرها ، وأن العامل في هذه العشر أفضل من المجاهد في سبيل الله الذي رجع بنفسه وماله.

إلى غير ذلك من الفضائل ، ويستحب فيها الإكثار من العبادات من صلاة وصيام وذكر ، وآكدها صوم يوم عرفة لغير الحاج، وقد خص النبي (صلى الله عليه وسلم) صيام يوم عرفة من

بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية ، وبيّن فضل صيامه ، فقد ثبت عن أبي قتادة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن صوم يوم عرفة فقال: (يكفّر السنة الماضية والباقية) [رواه مسلم] . وقال (صلى الله عليه وسلم): (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ) [رواه مسلم] .

* التكبير والتحميد والتهليل والذكر :

ومن الأعمال التي ورد فيها النص على وجه الخصوص الإكثار من ذكر الله عموماً ومن التكبير خصوصاً لقول الله تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} [الحج: ٢٨] ، وجمهور العلماء على أن المقصود بالآية : أيام العشر.

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ » [رواه أحمد] . وقال البخاري: كان ابن عمر وأبو هريرة (رضي الله عنهما) يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. وقال: وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه ، وفي مجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً .

ويستحب أن يكثر العبد من نوافل الصلوات بعد الفرائض ، فهي سبب من أسباب محبة الله ، ويكثر فيها من الصدقة ، إذ الصدقة فيها أفضل من الصدقة في رمضان ، ويكثر من الصيام فيها ، ولو صام التسعة أيام لكان ذلك مشروعاً ، لأن الصيام من العمل الصالح ، وينبغي للمسلم أن يسابق في هذه العشر بكل عمل صالح ، ويكثر من الدعاء والاستغفار ، ويتقرب إلى الله بكل قربة، وينبغي للمسلم إذا دخلت عليه العشر وهو يريد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا أظفاره شيئاً، وأما من يُضحّي عنه فلو أمسك لكان حسناً باعتباره يضحي في الأصل بأضحية وليّه ، وإن لم يمسك فلا حرج عليه.

فعلى المسلم أن يخرج من حجه وقد تغير ظاهراً وباطناً وبداً طاهراً قلبه ، نظيفاً في تعامله مع الناس، محافظاً على وحدة الصف متآلفاً مع أبناء مجتمعه، وإذا كان الله عز وجل قد شرع للمسلمين اجتماعات تلم شعثهم وتوحد صفوفهم كصلاة الجماعة والجمعة فإن الحج أعظم هذه الاجتماعات ، فيه يتعارفون ، وفيه يتآلفون ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣].

ومن رحمة الله عز وجل أنه لم يحرم أحداً أياً كان من الفضل والثواب ، فمن لم يستطع الحج أو كان قد أدى الفريضة التي افترضها الله عز وجل عليه فقد جعل رب العزة له في هذه العشر متسعاً من ألوان الخير والبر ، كما شرع فيها التكبير والأضحية لنشارك الحجاج في نسكهم وفي تقربهم إلى الله عز وجل ، هذه الأضحية التي هي سنة مؤكدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل قادر ، فعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟ قَالَ: "سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (رواه أحمد في مسنده)، وَعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا".